دو فصلنامه مطالعات ادب اسلامی
دوره اول، شماره دوم، بهار و تابستان ۱۴۰۱

نصف سنوية دراسات الأدب الإسلامي
السنة الأولى، العدد الثاني، ربيع وصيف ۲۰۲۲

# دينامية الانزياح الدلالي في القرآن الكريم بين إلف الاستعمال وعمق الدلالة

السيد محمد سالم العوضي[۱] (أستاذ مشارك بكلية اللغات والاتصال بجامعة زين العابدين، ترينجانو، ماليزيا)
رجب إبراهيم أحمد عوض[۲] (أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية بجامعة السلطان عبدالحليم معظم شاه الإسلامية العالمية، ماليزيا)

DOI: 10.34785/j022.2022.015

CC BY

تاريخ دريافت: ۱۴۰۰/۰۲/۰۱ تاريخ الوصول: ۲۰۲۱/۰۴/۲۱
تاريخ پذيرش: ۱۴۰۱/۰۴/۱۶ صفحات: ۱۴۳-۱۶۱ تاريخ القبـول: ۲۰۲۲/۰۷/۰۷

## الملخص

يعد الانزياح أسلوبا بلاغيا مثيرا كونه يحدث أثرا وتأثيرا دلاليا لدى المتلقي، فيأخذه إلى فضاءات أكثر رحابة، وانعكاسات أبعد عمقا من ناحية المعنى والدلالة، فهو ينظر إلى الوظيفة اللغوية بوصفها وظيفة تفاعلية بين المبدع والنص والمتلقي، وليست مجموعة من القواعد التي تتعامل مع اللغة على أنها قوالب لا يمكن تغييرها ولا الخروج عليها وعنها. إن الانزياح يُحمِّل النص من الدلالات التي لا يمكن أن يهتدي إليها المتلقي إذا سلك سبيل الصورة النمطية العادية المألوفة وغير المنزاحة، ويكون الانزياح أبلغ ما يكون حين يتعلق الأمر بالنص القرآني وهو يقدم الصورة القرآنية فتكون بانزياحها أبلغ في الدلالة من نطق جميع الناطقين مما سواها من الصور العادية. وفيما يخص الدافع إلى هذا البحث فإنما حداني إليها تهيامي بالأسلوب القرآني الذي لا يضاهيه أسلوب، ولا ينازعه منوال. ثم رغبتي في تتبع آي الذكر الحكيم وما فيها من أبعاد دلالية، وزوايا تعبيرية حين تخرج عن السياق اللغوي والدلالي المألوف إلى دلالات عميقة، ومعاني بعيدة، عن طريق الانزياح في البنى التركيبية لجزئياتها المتراصة بغرض التأثير النفسي، والتغيير الانفعالي لدى المتلقي. ولهذا؛ فقد انبرى القلم، وتاقت النفس، وسمقت الهمة للولوج إلى تلك الظاهرة وأثرها الدلالي في القرآن الكريم، متخذين من المنهج الوصفي التحليلي منهجا لنقف به على الأسباب، ونزيل به ما علق من القشر باللباب، ونفسر ما ورد من انزياح دلالي في آي الذكر وفصيح الكتاب.

**الكلمات المفتاحية:** الانزياح، علم الدلالة، القرآن الكريم، المجاز، الاستعارة، الكناية.

---

[۱] الكاتب المسؤول؛ البريد الإلكتروني: sayedsalim@unisza.edu.my

[۲] البريد الإلكتروني: drragabibrahim@unishams.edu.my

# پویایی هنجارگریزی معنایی در قرآن کریم مابین کاربرد و ژرفای معنی


## چکیده

هنجارگریزی یک روش بلاغی هیجان انگیز است زیرا بر گیرنده اثر می‌گذارد و وی را به فضاهای وسیع‌تر و ژرفای معنایی بیشتر می‌برد. هنجار گریزی یک کارکرد زبانی است که میان خالق کلام، متن و دریافت کننده، رابطه برقرار می‌سازد و صرفا یک مجموعه قواعد خشک و انعطاف ناپذیر نیست. این فن، متن را از نشانه هایی بارگیری می کند که اگر گیرنده بدون توجه به آن‌ها تلاش کند متن را بفهمد، به خطا خواهد رفت و نمی تواند به معنای درست متن هدایت شود. هنگامی که نوبت به قرآن می‌رسد کاربست هنجارگریزی سبب ایجاد لایه‌های دیگری در سخن می‌شود و جلوه‌های جدیدی از بلاغت قرآنی را بر ما آشکار می‌سازد. پژوهش حاضر با شیوه توصیفی-تحلیلی تلاش دارد تا در جهت شناخت اسلوب‌های بیان در قرآن گام بردارد و از اسرار نهفته سخن معجز، پرده بردارد و لایه‌های دیگری را از معنای ظاهر سخن، بگشاید. نتایج نشان می‌دهد که در قرآن صور متعددی از هنجارگریزی وجود دارد که با ابزارهای بلاغی چون مجاز، استعاره و کنایه، ایجاد شده است که هدف از آن، اثر گذاشتن بر روان مخاطب و ایجاد تحول درونی در وی است.


**واژگان کلیدی:** هنجار گریزی، معناشناسی، قرآن کریم، مجاز، استعاره، کنایه.

**۱- التمهيد**

يحاول البحث أن ينيخ مطاياه في رحاب مصطلح الانزياح بوصفه مصطلحا وأسلوبا نقديا وبلاغيا جديدا، نحاول من خلاله سبر أغوار الخطاب القرآني، والوصول إلى ما يشفي الأوام تجاه أسلوبية الانزياح ودورها في تحليل الخطاب القرآني، ومدى أثر هذه الفهم العميق لآيات القرآن وخطاباته. وتكمن وظيفة الانزياح في جماليته التي تحدث تأثيرا نفسيا لدى المتلقي، وهو لا شك منتشر في عرض القرآن وطوله، وهي تعطينا دورا تعبيريا، وأثرا جماليا في سياقاتها الكلامية، وفضاءاتها الخطابية. والبحث إذ يقف طويلا بالتأمل تجاه هه الظاهرة، فإنه ينظر إلى الانزياح بوصفه وسيلة من وسائل الإعجاز اللغوي والدلالي في القرآن الكريم، ويعكس في الحين نفسه قدرات اللغة العربية ووسائلها في نقل المعنى إلى المتلقي والكشف عن امتدادات أخرى في النص القرآني.

ولو حاولنا أن نلتمس السبب بحق في أهمية هذا البحث لوجدناه قريبا غير بعيد، إذ إن الانزياح يعني الانحراف بالاستعمال اللغوي وهو يعد أحد ركائز الدراسات الأسلوبية الحديثة في دراستها لتحليل الخطاب، متخذة في ذلك وسائل، وأنماطا تتعلق بالبنى التركيبية من حيث العمق والتأثير، وتجاوز مستوى اللغة اليومي، وهذا كله يحتاج إلى تناسقية تكاملية بين البُنى اللغوية من ناحية والبُنى الإبداعية من ناحية أخرى، وأثر تلك التناسقية في نفس المتلقي.

والقرآن الكريم يحمل في طياته وبين دفتيه رسائل عديدة، ونحن مأمورون بتدبرها وكشف بعض أسرارها، ومحاولة الوصول إلى شعفتها، ولعلنا في هذا البحث نقف أمام بعض صور الانزياح في آيات الذكر الحكيم لبيان العمق التعبيري في بياته من خلال تحليل البنية اللغوية تحليلا يبتعد في مضمونه ووسائله عن التحليلات السطحية وينحرف عنها موليا وجهه شطر التحليلات العميقة التي تأخذ بأيدينا إلى معان قد تكون هي المرادة والمرومة من النص القرآني الكريم رائبين بهذا صدع المعنى قدر الجهد. غير أننا على ثقة بأن هذا الأمر ثقيل ينوء بحمله الجمل الأعصل، ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن السوار ما أحاط بالمعصم، ولعل هذا البحث أن يكون غيثا على جدب، وفراتا على ظمئ.

وفيما يخص منهجية التحليل لآيات القرآن التي سيأتي بها البحث للاستشهاد والتدليل، فإن هذه المنهجية سترتكز على مبدأ ثنائية التقابل بين "إلف الاستعمال" المتمثل في سلطان القاعدة وطوقها، وعمق الدلالة المتمثل في الأثر الذي يحدثه الانزياح جراء وجوده. ويبرز هذا من خلال المنهج الوصفي

التحليلي في محاولة صادقة إلى الوصول إلى بلاغية الصورة القرآنية التي يحدثها الانزياح الدلالي الذي اقتصر البحث عليه دون غيره.

## ٢- الأطر النظرية

### ٢-١- مصطلح الانزياح في اللغة والاصطلاح

لا ينبغي أن نضرب الذكر صفحا عن أن أسلوب الانزياح جاء كخصيصة مميزة للغة الأدبية عموما، واللغة الشعرية بالأخص، وأن ثمة علاقة قوية في المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الانزياح على نحو ما سنرى.

**المعنى اللغوي**: الانزياح مصدر من الفعل "زيح" والانزياح الذهاب والابتعاد (ابن منظور، د.ت: مادة زيح)

**المعنى الاصطلاحي**: وفي المقابل الاصطلاحي نجد أنفسنا أمام تعددية كثيرة لهذا المسمى، إذ نجد مقابلا له الانحراف، والاختلال، والإطاحة، والمخالفة، والشناعة، والانتهاك، وخرق السنن، والعصيان. وكل هذه المترادفات ذكرها عبد السلام المسدي في كتابه "الأسلوب والأسلوبية" في إشارة منه إلى تعدد المصطلح لمدلول واحد، وهذا من أسباب فوضى المصطلح التي يعاني منها النقد العربي خاصة والعلوم العربية عامة (المسدي، ١٩٧٧: ٩٦).

وفي الحقيقة فإن الوقوف على مصطلح واحد من هذه المصطلحات السابقة ليؤدي المعنى الأدق لمصطلح (l'ecart) الفرنسي، لن نجد إلا كلمة "الانزياح" فبقية الألفاظ إما تكون بعيدة عن المعنى المراد، وإما أن تحمل معان بلاغية أخرى ليس الانزياح واحدا منها. وعلى هذا القول فإن الانزياح في الاصطلاح إنما هو الخروج عن أصول اللغة وإعطاء الكلمات أبعادا دلالية غير متوقعة، ولهذا المصطلح في اللغة العربية عدة مرادفات (بوطارن، ٢٠٠٨: ١٦٠).

ونظرا لأن المصطلح في أصله غير عربي منقول عن الفرنسية Ecart والإنجليزية Deviation مما يعكس التباسا في مدلوله، مما دفع صاحب كتاب"الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية" إلى القول"إن ما يغلُب على هؤلاء الذين استعملوا الانزياح هو اعتمادهم ثقافة فرنسية: استقاء أو ترجمة . على حين مالَ إلى (الانحراف) في الغالب أولئك الذين غلَبتْ عليهم المصادر الإنجليزية، فهذه لا تحوي إلا كلمة Deviation، وهي كلمة تناسبها كلمة (الانحراف) على حين أنّا وجدنا Ecart يناسبها (الانزياح)، وهي كلمة فرنسية غير موجودة في الإنجليزية (محمد ويس، ٢٠٠٣: ٦٥-٦٤).

### ٢-٢- الانزياح الدلالي والقرآن الكريم

يقول الباقلاني وهو يقسم كلام العرب خمسة أصناف: الشعر، كلام الموزون غير مقفى، كلام مسجع، كلام موزون غير مسجع، كلام مرسل. وهو يرى بالطبع ان القرآن الكريم يمثل نمطا مغايرا لكل هذه الأصناف، وأنه يمثل مستوى أعلى من الفصاحة والخطاب.

يقول عبد الله دراز: "والجديد في نظم القرآن أنه في كل شأن من شؤون القول يتخير له أشرف المواد، وأمسها رحما بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به؛ بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولايجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين، لا يوما ولا بعض يوم، بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور، فلا المكان يريد بساكنه بدلا، ولا الساكن يبلغ عن منزله حولا" (عبدالله دراز، ١٩٥٧: ٨١-٨٢).

والمتأمل في النص القرآني يجد استعماله لأسلوب غير المباشرة في إرادة المعنى، فيذكر لفظا آخر قد وضع في اللغة للفظ آخر، ويضرب الذكر صفحا عن ذكر اللفظ الموضوع لذاك المعنى في اللغة، وما هذا إلا لعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد. وهذا ما يعرف حديثا في السلوبية بالانزياح الدلالي، ومعناه الانتقال من المعنى المعجمي الذي وضع للفظ إلى المعنى السياقي الجديد الذي يأخذه اللفظ حينما يستعمل في سياق معين يحدد مقصود الجملة ومعناها. أو بمعنى أدق انزياح الدوال عن مدلولاتها المعهودة فتختفي تلك الدلالات المألوفة ليأتي بديلا عنها دلالات جديدة غير معروفة يقصدها الخطاب والمتكلم.

وإذا كان جانب التركيب يعتمد على بناء الجملة، وفق قواعد اللغة، فالمحور الدلالي، هو الفضاء الواسع الذي يظهر قدرات المبدع في استعمال قدراته في الاختيار، والنظم، ويرى الدارسون أن "الاستعارة عماد هذا النوع من الانزياح" (محمد ويس، ٢٠٠٢: ١١١). وهذا يشير أن أن الانزياح الدلالي إنما هو في مضمونه انتقال من المعنى الظاهر إلى الخفي أو من الحقيقي إلى المجازي أو على حد تعبير جان كوهين:" من المعنى المفهومي إلى المعنى الانفعالي" (كوهن، ١٩٨٦). لكن متى يحدث هذا؟ يحدث هذا: "عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من وجهة العموم والخصوص، كما في حالة الانتقال من المحل إلى الحال، أو من السبب إلى المسبب، أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه" (فندريس، ١٩٥٠: ٢٥٦).

**٢-٣- الانزياح وبواكير النقد العربي**

حاول عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز أن يفصل في قضية المعنى فقسمه إلى قسمين:

١. المعنى

٢. معنى المعنى

فالقسم الأول إنما يأتي على سبيل الحقيقة، فالدلالة المعجمية مطابقة للمعنى المراد، فاللفظ يدل على ما وضع له في اللغة وسماه عبد القاهر "تفسيرا" ويعني أنه "المعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة" (الجرجاني، د.ت: ٢٠٥).

أما القسم الثاني عند الجرجاني وهو معنى المعنى ويأتي على سبيل المجاز، حين يخرج الكلام إلى معان أخرى غير تلك المعاني التي يقتضيها ظاهر اللفظ، وفيها ينتقل السامع من المعنى الحقيقي إلى المجازي وعلى حد قول الجرجاني:" أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر" (الجرجاني، د.ت: ٢٦٣)؛ كقولنا: طويل اليد فالمعنى القريب أن يده طويلة إذا قيست، لكن هذا سبيل إلى المعنى المجازي وهو الدلالة على العطاء، وأحيانا القوة. وسمى هذا النوع المفسَّر.

وبقليل من التأمل نجد أن قول الجرجاني في تقسيم المعنى لا ينفك عما يسميه الدارسون الحداثيون انزياحا دلاليا المبني على بناء المعنى الثاني من المعنى الأول أو توليد المعنى الخفي من المعنى الظاهر. ويرى الجرجاني أن النوع الثاني من الكلام أفضل من الأول حيث فيها دلالة معنى على معنى، وهذا معنى قوله:"من المركوز في الطباع، والراسخ في غرائز العقول، أنه متى أريد الدلالة على معنى، فتُرك أن يصرح به ويُذكر باللفظ الذي هو له في اللغة، وعُمد إلى معنى آخر فأشير به إليه، وجعل دليلا عليه، كان للكلام بذلك حسن ومزية لا يكون إذا لم يصنع ذلك، وذكر بلفظه صريحا" (الجرجاني، د.ت: ٤٤٤).

و الحقيقة هناك آراء متباينة لبعض الباحثين الذين يبدون رفضهم لمثل تلك المصطلحات المصطبغة بصبغة غربية، على الرغم من وجود ما يشفي الأوام في النقد العربي القديم، وخلاصة قولهم: نحن لسنا ضد لفظ انزياح فهو لفظ عربي ويمكن للناقد أن يستعمله كتعبير عن الإضراب المفاجئ عن معهود تعبيري لاسيما إن كان متوقعا بشدة في سيرورة النص، ولكن السؤال: هل المصطلحات البلاغية التفصيلية العربية بحاجة إلى تغطية مصطلحية تلمها؟!هل يجدها الباحث العربي غير ملبية للتقسيم والتأطير المفاهيمي ابتداء من التقسيمات العامة لفروع البلاغة ثم فروع كل فرع والتفريعات

الاصطلاحية عليها؟! وهناك ملاحظتان عموما حول طريقة الحداثيين العرب في هذا النوع من الاستخدام:

**الأولى**

أنهم يريدون أن ينفكوا مما لافكاك منه حين يتعاملون بألفاظ وتعبيرات من خارج النظرية العربية القارّة سعيا لتقديم رؤية مغايرة ولكنهم حين يعودون للنص العربي –تطبيقا– لايجدون ما يمكنهم إفراغ شحنة المصطلحات المستوردة حيث لا يمكن تنزيلها في فراغ فيصنعون هم انزياحا لفظيا ويحلون الألفاظ والمصطلحات الوافدة محل العربية ولكنهم في النهاية يضطرون للتعامل مع معطيات اللغة وبناها وتراكيبها وقوالبها البيانية فلا يحدثون أكثر من انزياح غير ضروري.

**الثانية**

لم يتجن أحد على مناهج النقد الغربي كهؤلاء الحداثيين العرب! فقد يأتي باحث لسانيات مثل ليتش مثلا ويكثر من استعمال لفظ محدد ولكنه لايريد وضعه في مستوى تعميم مفاهيمي، ولكنهم –حداثيونا–يصبحون ليتشيين أكثر من ليتش وينزلون اللفظ الذي يكثر من استعماله كلازمة تعبيرية تريحه في التعبير وترتيب الفكرة، ويجعلونها مفهوما أو مصطلحا، لتصبح مشكلتنا مع الحداثيين ليست تكدير النقد العربي فقط، بل تشويه المنهج الغربي نفسه، وهذا ماوجدته بالتتبع عند كثيرين منهم.

وبالمناسبة فإن الانزياح كان يسمى (العدول) وهي من استعمالات عبد القاهر وهي أشمل وأدق من الانزياح التي لا توحي بالقصدية والغائية التي يشتمل عليها (العدول أو الصرف أو مخالفة مقتضى الظاهر) ...والواقع كلمة انزياح –حداثيا لا تصرفا تعبيريا– لاتعني إلا التقديم والتأخير والدلالي منه هو الاستعارات العربية فقط.

والذي لفت انتباهي في المدارس الحداثية والمناهج المعاصر أو الحديثة من زمن سوسير، أنك تجد بواكير المنهج الواحد غير متفقين، ليأتي الباحث العربي المعاصر يقحم المنهج في الدرس العربي، ويلحق بالنص الشعري العربي دراسات ذات آليات غير قابلة للدراسة العربية أساسا! فكأنه يرغم النص العربي على ما لا يتحمله، ثم يخرج لنا بنتائج مفادها أن البنية العربية القديمة جافة وأن لابد لنا من كسرها لاستخلاص هجين نثري يسمى في درسهم القصيدة الحداثية أو النص الحداثي! غريب هو فعل هؤلاء.. ونسوا أن الإشكالية لم تكن يوما في النص القديم وإنما في طريقة دراستهم له واستهلاكهم للمصطلحات والنظريات الغربية الجافة.

إذا، الانزياح الدلالي أسلوب غير مباشر له وسائله البلاغية كالمجاز، والكناية، والاستعارة، وكل لون بلاغي من شأنه انزياح المعنى وتغيره مما يعني يشابكا وتداخلا بين البلاعة وعلم الدلالة" فمن يدرس موضوعات علم الدلالة لا يستطيع أن يغفل أمثال هذه الألوان البلاغية باعتبارها من العوامل المؤدية لتبدلات المعنى وانزياحه، كما أن من يعالج هذه الألوان البلاغية لابد أن يتعامل معها من خلال منظور علم الدلالة، وتبعا لذلك لا غنى للبلاغة عن الدلالة، ولا غنى للدلالة عن البلاغة، إذ إن القاسم المشترك بينهما هو التبدل أو التغير الدلالي" (حسن، ١٩٩٩: ١٦).

### ٣- الانزياح الدلالي في القرآن الكريم ووسائله

لا شك أن الأنواع الانزياحية في القرآن كثيرة ومتشابكة ومتداخلة، فهناك الانزياح التركيبي، والصوتي. لكن يبقى الانزياح الدلالي من أهم الانزياحات الموجودة في سور وآيات القرآن الكريم حيث يكشف عن المعنى الجديد المنزاح إليه من المعنى الأصلي مما يوضح بلاغة هذا النص وبيانه، الأمر الذي يستلزم تدبرا لهذا النوع من الانزياحات للوصول إلى دلالة أعمق، وفهم أدق. وسوف يتناول البحث بعضا من أنماط هذا الانزياح؛ نظرا لاتساع نكاته، وكثرة آياته.

### ٣-١- المجاز وعلاقاته

حين نطالع لسان العرب بحثا عن معنى المجاز في اللغة فسنجد أنه من الفعل جوز تقول: "جُزْتُ الطريقَ وجازَ الموضعَ جَوْزاً وجُؤُوزاً وجَوازاً ومَجازاً وجازَ به وجاوَزه جِوازاً وأَجازه وأَجاز غيرَه وجازَه سار فيه وسلكه" (ابن منظور، د.ت: مادة جوز)، فالمادة تعني الربط بين نقطتين يحاول الجائز الوصل بينهما.

أما في الاصطلاح فيعرفه الجرجاني:"كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز، وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت لها في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز" (الجرجاني، ٢٠٠١: ٣١٧).

وكما هي عادة المصطلحات العربية التراثية أنه ثمة علاقة بين اللغة والاصطلاح حيث يتوافقان في تعريف المصطلح فالمعنى اللغوي للمجاز يتوافق مع المعنى الاصطلاحي له فكلاهما يفيدان الانطلاق من نقطة للوصول إلى نقطة أخرى هي المراد وهي المقصودة، وهذا ما يبدو من كلام الجرجاني إذ إن المعنى لا يمكن الوصول إليه مباشر فنجتاز إليه بالألفاظ المجازية ليتضح مقصوده. وهذا هو الانزياح

الدلالي عينه ونفسه "فاللغة المجازية تبرز الكلام أبدا في صورة مستجدة، وتعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر" (الجرجاني، ۲۰۰۱: ۵۵).

وهذا هو ما ذهب إليه دكتور رجاء عيد حين قال إنه:"يعبر إلى ما وراء المسلمات اللغوية المنمطة، ويتجاوز حدود العقلانية التي تزعم أنها تبرز من خلال تحليل ساذج ومبسط لمكونات الاستعارة والتشبيه أو الكناية، ولا نعني أن الخيال بديل العقل بل إنه يمر به لكنه يتجاوزه، يحل محله في إقامة عقلانية خيالية إن جاز التعبير" (عيد، ۱۹۷۹: ۱۵۹).

وأما ما يتعلق بموقف أهل العلم من قضية المجاز، فلن نتوقف أمامها طويلا إذ ليست هي محل البحث، لكن الثابت تاريخيا أنهم اختلفوا فيه، وفي وقوعه في اللغة والقرآن؛ فمنهم من أنكره ومنهم من أجازه مطلقا. وقد لخص الجرجاني هذا الخلاف بقوله:" ومن قدح في المجاز، وهمّ أن يصفه بغير الصدق فقد خبط خبطا عظيما، ويهرف لما لا يخفى".كما "أن التنزيل كما لم يقلب اللغة في أوضاعها المفردة عن أصولها، ولم يخرج الألفاظ عن دلالتها، كذلك لم يقض بتبديل عادات أهلها، ولم ينقلهم عن أساليبهم وطرقهم، ولم يمنعهم ما يتعارفونه من التشبيه والتمثيل والحذف والاتساع. وكذلك كان من حق الطائفة الأخرى أن تعلم أنه عز وجل ... لم يكن ليعجز بكتابه من طريق الإلباس والتعمية كما يتعاطاه الملغز من الشعراء والمحاجي من الناس، كيف وقد وصفه بأنه عربي مبين" (الجرجاني، ۲۰۰۱: ۳۹۰).

والمجاز كما هو معلوم قسمان: مجاز عقلي، ومجاز لغوي، بيد أن اهتمام البحث سيقع على المجاز اللغوي إذ إنه يمثل وبوضوح شديد الانزياح الدلالي، بينما سيعرض البحث عن الخوض في المجاز العقلي الذي هو خصيصة من خصائص الانزياح التركيبي.

### ۳-۱-۱- المجاز اللغوي والانزياح الدلالي

عرف القزويني المجاز اللغوي بقوله:" استعمال اللفظ في غير ما وضع له أصلا، لعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي" وينقسم إلى المجاز والاستعارة (القزويني، د.ت: ۱۲/۳). بيد أنه يجب أن يكون في المجاز أمران: علاقة بين المعنى الأصلي والمعنى الفرعي المنقول إليه، وهي علاقة منطقية يقبلها العقل والطبع. وتقوم هذه العلاقة على المشابهة، وحينئذ تسمى استعارة أو تقوم على غير ذلك فتكون مجازا مرسلا.

أما الأمر الثاني الذي يجب أن يتوافر في المجاز فهو القرينة وهي: "الأمر الذي يصرف الذهن عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي" ويجب أن تكون مانعة لتخرج الكناية من المجاز؛ حيث إن القرينة في الكناية لا تمنع إرادة المعنى الأصلي (طبانة، ١٩٨٢: ٦٩٣).

**٣-١-٢- المجاز المرسل وعلاقاته**

واصطلح عليه البلاغيون على أنه مجاز لغوي ينقل فيه اللفظ عن دلالته الأصلية إلى دلالته المجازية، لعلاقة هي غير المشابهة، وسمي بالمرسل لأنه غير مقيد بعلاقة المشابهة، وإنما له علاقات كثيرة ومتعددة. أو على حد قول القزويني:"" هو ما كانت العلاقةُ بين ما استعمل فيه، وما وِ ضع له ملابسةً غير التَّشبيه"(القزويني، د.ت: ٢٨٠) مع التأكيد على أن المجاز المرسل "قد تخطى حدود الدائرة اللغوية إلى الدائرة الفنية ، وكيف تجاوز بالاتساع إلى مناخ الغنى في المفردات والمعاني، وكيف استطاع النص القرآني أن ينقل الذهن العربي إلى أفق جديد يمتاز بالابتكار وبحياة لغوية تتسم بالشمول والإبداع" (الصغير، ١٩٩٤: ١٤١).

**الف- علاقة السببية**

وهي أن يذكر السبب ويراد المسبب؛ أي النتيجة الحاصلة، وذلك كما في قوله تعالى: **"وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا"** (الإسراء/٢٩) يقول الزمخشري في الكشاف:"ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لأنهما كلامان متعاقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا بإشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو أعطى الأقطع الى المنكب عطاء جزيلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد" (الزمخشري، د.ت: ٦٨٨/١٠). وقوله تعالى **"وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ"** (الشورى/٤٠) فقد ذكر السيئة وهي السبب وأراد العقوبة وهي المسبب على سبيل المجاز المرسل. والمسوغ للانزياح هنا هو علاقة السببية فجعل "غل اليد" مكان" البخل" أو ما يمكن أن نقوله حلول السبب محل النتيجة. والقيمة الفنية لهذا الانزياح هي إبراز المعنويات في صورة محسوسات وهي ألزم للذهن والتصور.

**ب- علاقة المسببية**

وهي أن يطلق المسبب ويراد السبب نحو قوله تعالى:"**وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاء رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ**" (غافر/١٣) والرزق المطر لأنه سببه. والآيات بصدد استعراض لنعم الله على عباده التي يرونها شاخصة أمام أعينهم دالة على قدرته سبحانه وتعالى، وبينما السياق سياق تقريري إذ انزاح قوله تعالى بكلمة "رزقا" عن المعنى الحقيقي وهو الماء، حيث إن الرزق ناتج عن هذا الماء الذي ينزله الله سبحانه وتعالى بقدرته. والسر في هذا الانزياح من المعنى الحقيقي للفظ الرزق إلى المعنى المجازي إنما هو العلاقة التي تجمع بين المدلولين وهي علاقة المسببية وهي التي سمحت بهذا الانزياح الدلالي، وهذه العلاقة قائمة في ذهن المتلقي.

**ج- علاقة الكلية**

ويعنى بها إطلاق الكل وإرادة الجزء، ومنه قوله تعالى: "**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**" (البقرة/١٩) والمعلوم أن الإنسان – على الحقيقة- لا يستطيع تمكين إصبعه كله داخل أذنه، وإنما يمكن أنمله أو جزءا من أنمله، وهنا انزاح اللفظ "أصابع" من دلالته المعروفة إلى دلالة أخرى أو معنى المعنى كما سماه الجرجاني. فقد انزاح من دلالته على الإصبع إلى الدلالة على الأنامل، وهو كما يسميه عبد المطلب انزياحا تراجعيا من الكل إلى الجزء (عبدالمطلب، د.ت: ١٦٤). وتتضح قيمة الانزياح هنا من المعنى الأصلي إلى المعنى المجازي في بيان الهلع الشديد، والفزع المتحكم في هؤلاء حين جاءهم الصيب من السماء وفيه ظلمات ورعد وبرق، فيبالغون في خوفهم حتى أنهم يحاولون إدخال أصابعهم مع استحالة ذلك اتقاء هذا الوابل من الصواعق.

**د- علاقة الجزئية**

ويعنى بها إطلاق الجزء وإرادة الكل، فالجزء المعبر به بعض من المعنى الكلي المقصود. والقرآن كثيرا ما يستعمل هذا المجاز، فيعبر بيد الإنسان أو رقبته، أوقلبه ويريد الإنسان نفسه ومن ذلك قوله تعالى: "**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ** ..." (النساء/٩٢) فانزاح التعبير عن بالمعنى الأصلي وهو الرقبة إلى المعنى المجازي وهو الإنسان المسترق، ولربما كان السر

في التعبير بالرقبة ما عُهد عن ربط العبد من رقبته خوف الهرب، أوربما أن الرقبة هى أغلى ما يملكه الإنسان لبقاء حياته، وكان العرب عادة ما يعبرون بالرقبة عن الذات والنفس.

ومثال آخر لتلك العلاقة قوله تعالى: **"وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"** (الأنفال/٦٣) حيث ذكر القلوب التي هي جزء من الجسد، وأراد الأجساد (الأوس والخزرج) وفي هذا الانزياح دلالة على أن القلوب هي مكمن الحب والكره، فإن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله.والأمثلة على هذا النوع كثيرة في القرآن الكريم.

**هـ– علاقة اعتبار ماكان**

وهي النظر إلى الشيء وتسميته بالرجوع إلى أصله، أي ما كان عليه سابقا، والمراد ما هو عليه حاليا. ومن ذلك القبيل قول الله تعالى: **"وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"** (البقرة/٢٣٤). فالمعلوم أن الزوجة التي يتوفى عنها زوجها تسمى أرملة، لكن القرآن انزاح باللفظ إلى معنى آخر وهو الزوج، وقد يكون ذلك لاعتبارات متعددة منها: إعلاء قيمة الرباط بين الزوجين الذي سماه في أية أخرى "ميثاقا غليظا" فبه صارت المرأة زوجا. وقد يكون مراعاة لحال المرأة التي تكون عليها حال وفاة زوجها، فمصيبة الموت حينما تأتي نجد كثيرا من النساء قد ذهلن عن أنفسهن، ولا يستوعبن وفاة أزواجهن إلا بعد ردح من الزمان، فانزاح القرآن إلى لفظ الزوج مراعاة لشعورهن. وقد يكون الانزياح إلى لفظ الزوج تنبيه تشريعي للمرأة التي توفي عنها زوجها بأنها لا تزال زوجة للمتوفى ما دامت في عدتها، فلا يحل لها الزواج بآخر.

**و– علاقة اعتبار ما سيكون**

وهي النظر إلى الشيء باعتبار مصيره، وما سيؤول إليه. فالمعنى الأصلي أن النبي وصحابته كانوا أحياء وقت مخاطبتهم بهذه الآية، لكن القرآن انزاح بالمعنى الأصلي وهو البقاء على قيد الحياة إلى معنى آخر سيؤول الأمر إليه لاحقا. ويؤدي الانزياح هنا دورا مهما في تنبيه المسلمين جميعا في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته إلى الحقيقة الحاضرة الغائبة التي ينساها الناس في غمار انشغالهم بالدنيا فالجميع إلى زوال حتى ولو كان أحب خلق الله إلى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ومعه صحابته خير

القرون، وفيه تأكيد على أن الحياة الدنيا ليست دار مقر، إنما دار مفر، والآخرة خير وأبقى..فالعلاقة بين المعنيين علاقة مآلية مستقبلية.

**ز- علاقة المحلية**

ونعني بها إطلاق اسم المحل ونريد الحال به، ومثاله قوله تعالى: **"يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ"** (المائدة/٤١) حيث ذكر الأفواه وهي المحل، وأراد الألسن وهي الحال.فعلاقة المحلية هي التي مكنت من هذا الانزياح من المعنى الأصلي إلى المعنى المجازي.

**ح- علاقة الحالية**

وفيها نطلق الحالَّ ونريد المحل، ومثله في القرآن الكريم قوله تعالى: **"وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ"(آل عمران ١٠٨)** فالرحمة هنا يعني الجنة، والرحمة حالة في الجنة، والجنة هي المحل، فانزاح إلى التعبير بالجنة إلى التعبير بالرحمة لقرينة بينهما. وهنا تبدو قيمة الانزياح في التبشير بما سيلقاه المؤمن من نعمة ربه حين يدخل الجنة.

كانت هذه أهم علاقات المجاز المرسل التي يجب أن يكون الانزياح الدلالي فيها مقبولا وله علاقة وقرينة تسوغ انتقال المعنى الأصلي إلى آخر مجازي مؤثرا في النفس ومحركا كوامن التدبر والخشوع فيها تجاه النص لقرآني.

**٣-٢- الانزياح الاستعاري**

الاستعارة تشبيه حذف منه أحد طرفيه، وهي على حد تعريف القاضي الجرجاني: "الاستعارة ما اكتفي فيها بالسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها" (الجرجاني، علي بن عبد العزيز، د.ت: ٤١).

وحسب وجهة النظر الحديثة فإن الاستعارة أسلوب قائم على الاستبدال ومن ثم "لعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا إن هذه التعريفات تمثل الأساس الذي انبثقت منه نظرية الاستعارة الحديثة المعروفة

بـ"النظرية الاستبدالية" التي ترى أن الاستعارة علاقة لغوية تقوم على المقارنة، شأنها في ذلك شأن التشبيه، ولكنها تتمايز عنه بأنها تعتمد على الاستبدال أو الانتقال بين الدلالات الثابتة للكلمات المختلفة، أي أن المعنى لا يقدم فيها بطريقة مباشرة، بل يقارن أو يستبدل بغيره على أساس من التشابه، فإذا كنا نواجه في التشبيه طرفين يجتمعان معا، فإننا في الاستعارة نواجه طرفا واحدا يحل محل طرف آخر ويقوم مقامه، لعلاقة اشتراك شبيهة بتلك التي يقوم عليها التشبيه" (أبوالعدوس، ١٩٩٧: ٥٣ و٥٤). وهي من أدق أدوات البيان تصويرا، وأحسنها تفسيرا، تنقل المعنى وتجسده، وتهتدي إليه وتمهده، وعنها يقول الجرجاني: "تبرز هذا البيان في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا.وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة" (الجرجاني، ٢٠٠١: ٤٢).

إذا، فالاستعارة إنما تكون حين يتم استبدال المعنى المجازي بالمعنى الحقيقي، وهذا ما تقوم عليه الانزياح الاستبدالي كما يسميه"جان كوهن" في كتابه بنية اللغة الشعرية. وتجدر الإشارة إلى أن البحث –هنا– يحاول الوقوف عند الأثر الفني لبعض الانزياحات الاستبدالية للاستعارة دون الدخول في تقسيمات البلاغيين لأنواع الاستعارة، فهي معلومة من علوم البلاغة بالضرورة.

والانزياحات الاستعارية أو الاستبدالية في القرآن الكريم انزياحات ذات بنية عميقة في البناء والدلالة، شديدة التأثير، لذلك؛ سيلجأ البحث إلى الانتقائية لبعض النماذج وأولها قوله تعالى:"**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**"(إبراهيم/١) فالآية توضح أن الغاية من نزول القرآن إحراج الناس من الظلمات إلى النور أي من الكفر إلى الإيمان، وكان السبيل إلى ذلك المعنى الاستعارة الاستبدالية أو الانزياح الاستعاري فانزاحت عن الكفر بالظلمات، وعن الإيمان بالنور، وهو انزياح يكشف لنا الصورة كاملة صورة الظلمات التي تحجب عن صاحبها رؤية طريقه، ووضوح غايته، واستبيان سبيله، بينما جعلت الأية الإيمان كالنور الذي يرفع الغشاوة عن عين صاحبه فيضيء أمامه نور يستكنه به سر وجوده، وحقيقة نفسه، فهذان انزياحان موحيان بعمق، يتجاوز عمقهما المعنى المعجمي للكفر والإيمان إلى أفق أرحب في الدلالة وأشد عمقا، وأغزر فهما؛ وذلك عن طريق العلاقة الموجودة بين اللفظ المنزاح عنه والمنزاح إليه وهي المشابهة في أن كليهما يقود الإنسان إلى مصير محتوم بالسوء محتوم في الانزياح الأول المتمثل في الكفر والظلمات، ويقوده إلى السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة في الانزياح الثاني (الإيمان– النور).

والسر في هذا الانزياح يكمن في أنه أوحى إلى المتلقي بحتمية النتيجة في الانزياحيين، وأنه لا ينبغي أن يتطرق أدنى شك في حصولهما، مستخدما الانزياح عن المعاني المعقولة إلى المعاني المحسوسة التي تدرك بالأبصار.

ومن أمثلة الانزياح الاستبدالي أيضا قوله تعالى:"**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**"(محمد/٢٤). فقد شبهت الآية قلوب المشركين المعرضين عن كلام رب العالمين بالأبواب الموصدة بأقفال محكمة الغلق لا تفتح، وحذفت المشبه به وهو الأبواب، وصرحت بالمشبه وهو القلوب. والمتأمل لهذه الأية يدرك الأثر الفني والدلالي في الانزياح عن المعنى الحقيقي إلى المجازي وهو إبراز قسوة هذه القلوب التي هي كالحجارة أو أشد قسوة أمام جلال القرآن وعظمته، هذا الجلال الذي تتهاوى أمامه كل الجبال بعد أن تملكتها الخشية من شعفاتها إلى جذورها فتصير خاشعة متصدعة من خشية الله. إن هذه القلوب القاسية التي هي كالأبواب الموصدة بأقفال محكمة الغلق، لا يمكن لها أن تبصر نور الحق ما دامت على هذه الحال، لا يدخل إليها الخير، ولا يخرج منها، فقد رِينَ عليها بعد أن طبع الله عليها وختم، فكانت النتيجة الحتمية لهذا الإعارض أنهم في عيشة ضنكا في الدنيا، وفي الآخرة عن ربهم يومئذ لمحجوبون.

### ٣-٣- الانزياح الكنائي

الكناية في اللغة الحديث "عن أمر بغيره مما يستدل عليه" وأما في اصطلاح البلاغيين فقد عرفها شيخهم الجرجاني بقوله: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم: هو طويل النجاد، يريدون طويل القامة" (الجرجاني، د.ت: ٦٦).

وكأن الجرجاني بهذا التعريف يشير أن الانزياح بالمفهوم الحديث أم ما تتسم به الكناية حيث إنها تعني أن تذكر اللفظ وتريد به معنى آخر غير المعنى الظاهري للفظ مع إمكانية إرادة المعنى الأصلي. فالمعنيان موجودان ويبقى السياق هو المقرر لأيهما الأسبقية لدى المتكلم والمتلقي فالكناية كما يقول عنها عبد المطلب في كتابة البلاغة العربية، قراءة أخرى:" بنية ثنائية الإنتاج، حيث تكون في مواجهة إنتاج صياغي له إنتاج دلالي موازٍ له تماما بحكم المواضعة، لكن يتم تجاوزه بالنظر في المستوى العميق لحركة الذهن التي تمتلك قدرة الربط بين اللوازم والملزومات، فإذا لم يتحقق هذه التجاوز فإن المنتج الصياغي يظل في دائرة الحقيقة" (عبدالمطلب، د.ت: ١٨٧ و١٨٨).

من هذا التعريف يتجلى لنا أن للكناية معنيين: معنى ظاهر في الصياغة، ومعنى خفي ، مما يعني أننا أمام انزياح لغوي، تميل فيه الصياغة عن دلالتها التي وضعت لها إلى دلالة أخرى مجازية بسبب وجود علاقة تلازم يقبلها العرف والعقل.أو كما يقول الدكتور محمد حسين الصغير:" فأسلوب الكناية يقوم على نقل الكلمة من معناها الشائع الذي استقرت عليه في عرف جماعة معينة إلى معنى آخر، ولا يكون هذا النقل ارتجاليا أو عشوائياً، بل يبنى على علاقات خاصة تربط بين المعنى المنقول منه والمعنى المنقول إليه. فهي تعبير مجازي يتحاشىّ لفظ إلى بِه، مهزول اللفظ إلى مهذبه وسوقي العبارة إلى رصينها. وهي من أوسع الأساليب التي تيسر للمرء قول كل شيء، فجعلوا صلتها ب(الرمز) شبيهة بصلتها ب(التعريض) فكلاهما ينبع من أصل واحد، وهو إيراد غير ظاهر المعنى ودلالة اللفظ الأولية" (الصغير، ١٩٩٩: ١١٩).

إن الكناية بمفهومها الاصطلاحي والمعجمي تشكل صراعا بين المعنى المعجمي لها والفضاء الخطابي الذي يميل إلى المعنى المجازي، فكلاهما يتجاذبان اللفظ، كل يريده في نظامه المعجمي أو المجازي، والوحيد الذي يستطيع أن يفصل في هذا النزاع إنما هو المتلقي.

ولا يمكن أن يتوهم من ذلك التجاذب وهذا الصراع أن هناك تناقضا في إنتاج الكناية للمعنيين الحقيقي والمجازي في آن واحد، وهذا ما نفاه السبكي فقال: "لا يتخيل أن ذلك جمع بين حقيقة ومجاز، ولا بين حقيقتين، لأن التعدد هنا ليس في إرادة الاستعمال، بل في إرادة الإفادة، واللفظ لم يستعمل إلا في موضعه، وقد يستعمل اللفظ في معنى، ويقصد به إفادة معان كثيرة" (السبكي، ٢٠٠١: ٢٣٨).

فالكناية انزياح دلالي يقصد المتكلم به الانتقال من المدلول الحقيقي للفظ إلى المدلول الكنائي له لوجود علاقة تربط بينهما. و الكناية في القرآن فإن "فيها روعة التعبير، وجمال التصوير، وألوان الأدب والتهذيب، ما لا يستقل به بيان، ولا يدركه إلاّ من تذوق حلاوة القرآن" (السيد شيخون، ١٩٧٨: ١٠١).

ومن أمثلة الانزياح الكنائي قوله تعالى: "**واخفض لهما جناح الذل**" فالكناية هنا توجه الإنسان إلى كيفية التعامل الأمثل مع الوالدين اللذين وصاه الله بهما، لكن هذا التوجيه لم يكن ليتمحور في ذهن المتلقي من خلال دلالة معجمية الألفاظ المستعملة، إنما لابد من وجود تصور ذهني حاضر يساعد في فهم المعانى الخفي وراء ستار معجمية تلك الألفاظ المتراسة والمكونة بنية عميقة المعنى بيد أنها خفية تتمثل في اللين والعطف والإحسان والتواضع بين يديهما والمستشف من قوله "**واخفض لهما جناح**

**الذل**" فالخفض النزول إلى الأرض أي التواضع، وهذا ما هدف إليه الانزياح الكنائي؛ حيث انزاح إلى الوسيلة وقصد الغاية، فالتواضع إنما ينال بخفض الجناح وهدف من ذلك إلى المبالغة.

**٤– النتائج**

حاول البحث في هذه الصفحات المعدودات أن يناقش الانزياح ومدلوله في القرآن الكريم جامعا بين وجهتي نظر قديمة وأخرى حديثة فيما يتعلق بمصطلح الانزياح وغاياته ووسائله. وقد خرج البحث بعدة نتائج نحسبها في محلها: يعد الانزياح أسلوبا بلاغيا مثيرا كونه يحدث أثرا وتأثيرا دلاليا لدى المتلقي، فيأخذه إلى فضاءات أكثر رحابة، وانعكاسات أبعد عمقا من ناحية المعنى والدلالة. إن الانزياح يُحمِّل النص من الدلالات التي لا يمكن أن يهتدي إليها المتلقي إذا سلك سبيل الصورة النمطية العادية المألوفة وغير المنزاحة، ويكون الانزياح أبلغ ما يكون حين يتعلق الأمر بالنص القرآني وهو يقدم الصورة القرآنية فتكون بانزياحها أبلغ في الدلالة من نطق جميع الناطقين مما سواها من الصور العادية. تكمن وظيفة الانزياح في جماليته التي تحدث تاثيرا نفسيا لدى المتلقي، وهو لا شك منتشر في عرض القرآن وطوله، وهي تعطينا دورا تعبيريا، وأثرا جماليا في سياقاتها الكلامية، وفضاءاتها الخطابية.

جاء أسلوب الانزياح كخصيصة مميزة للغة الأدبية عموما، واللغة الشعرية بالأخص، وأن ثمة علاقة قوية في المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الانزياح. قول الجرجاني في تقسيم المعنى لا ينفك عما يسميه الدارسون الحداثيون انزياحا دلاليا المبني على بناء المعنى الثاني من المعنى الأول أو توليد المعنى الخفي من المعنى الظاهر. هناك آراء متباينة لبعض الباحثين الذين يبدون رفضهم لمثل تلك المصطلحات المصطبغة بصبغة غربية، على الرغم من وجود ما يشفي الأوام في النقد العربي القديم. الانزياح الدلالي أسلوب غير مباشر له وسائله البلاغية كالمجاز، والكناية، والاستعارة، وكل لون بلاغي من شأنه انزياح المعنى وتغيره مما يعني يشابكا وتداخلا بين البلاعة وعلم الدلالة. الأنواع الانزياحية في القرآن كثيرة ومتشابكة ومتداخلة، فهناك الانزياح التركيبي، والصوتي. لكن يبقى الانزياح الدلالي من أهم الانزياحات الموجودة في سور وآيات القرآن الكريم حيث يكشف عن المعنى الجديد المنزاح إليه من المعنى الأصلي مما يوضح بلاغة هذا النص وبيانه، الأمر الذي يستلزم تدبرا لهذا النوع من الانزياحات للوصول إلى دلالة أعمق، وفهم أدق. اللغة المجازية في القرآن الكريم تبرز الكلام أبدا في صورة مستجدة، وتعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من

الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر. الانزياحات الاستعارية أو الاستبدالية، والكنائية، والمجازية في القرآن الكريم انزياحات ذات بنية عميقة في البناء والدلالة، شديدة التأثير.

## المصادر والمراجع


القرآن الكريم.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. (د.ت). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

أبو العدوس، يوسف. (١٩٩٧). *الاستعارة في النقد الأدبي الحديث*. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.

بوطارن، محمد الهادي. (٢٠٠٨). *المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية*. بيروت: دار الكتاب الحديث.

الجرجاني، عبد القاهر. (٢٠٠١). *أسرار البلاغة*. (شرح وتعليق وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف). بيروت: دار الجيل.

الجرجاني، عبد القاهر. (د.ت). *دلائل الإعجاز* (الطبعة الثالثة). (قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر). القاهرة: مكتبة الخانجي.

الجرجاني، علي بن عبد العزيز. (د.ت). *الوساطة بين المتنبي وخصومه*. (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي). بيروت: دار القلم.

حسن، عبد الواحد. (١٩٩٩). *العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي*. الإسكندرية: مكتبة الإشعاع الفنية.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. (د.ت). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. (تحقيق: عبد الرزاق المهدي). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

السبكي، أحمد بن علي. (٢٠٠١). *عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح*. (تحقيق: خليل إبراهيم). بيروت: دار الكتب العلمية.

السيد شيخون، محمود. (١٩٧٨). *الأسلوب الكنائي نشأته وتطوره وبلاغته*. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

الصغير، محمد حسن. (١٩٩٤). *مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

الصغير، محمد حسين علي. (١٩٩٩). *أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم*. بيروت: دار المؤرخ العربي.

طبانة، بدوي. (١٩٨٢). *معجم البلاغة العربية*. الرياض: دار العلم للطباعة والنشر.

عبد المطلب، محمد. (د.ت). *البلاغة العربية قراءة أخرى*. بيروت: مكتبة لبنان.

عبدالله دراز، محمد. (١٩٥٧). *النبأ العظيم*. الكويت: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

عيد، رجاء. (١٩٧٩). *فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور*. الإسكندرية: منشأة المعارف.

فندريس، جوزيف. (١٩٥٠). *اللغة*. (تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

القزويني، الخطيب. (د.ت). *الإيضاح في علوم البلاغة*. (شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي). بيروت: دار الجيل.

كوهن، جان. (١٩٨٦). *بنية اللغة الشعرية*. (ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري). المغرب: دار توبقال للنشر.

محمد ويس، أحمد. (٢٠٠٣). *الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية*. الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية.

المسدي، عبد السلام. (١٩٧٧). *الأسلوب والأسلوبية*. تونس: الدار العربية للكتاب.